# التوسل

## والرد على الشبهات التي حوله

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة الاستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن صالح محي الدين

رئيس قسم السنة بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية (سابقا)

إعداد: مزمل فقيري



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدالله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبة ومن والاه وبعـد: -

فقد ناولني الأخ الفاضل مزمل فقيري بحثه الذي فتح الله عليه في التوسل وأحكامه وأقسامه وهو بحث جيد يجب أن ينشر لعل الله ان ينفع به

"لأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم "

والله الموفق،،،

كتبه وامضاه

عبد الرحمن بن صالح محي الدين

٠٦/٠٣/ ١٤٤١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد :-

فقد ناولني الأخ الفاضل مزمل فقيري بحثه الذي فتح الله عليه في التوسل وأحكامه وأقسامه وهو بحث جيد يجب أن ينشر لعل الله ان ينفع به "لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" والله الموفق

كتبه وامضاه

عبد الرحمن بن صالح محي الدين

٦/٣/١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقدمة

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والآه،،،،

أما بعد:

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ في بيان التوَسُّل المشروع وأنواعه، وبيان ما يُضاده من البدع في هذا الباب الذي هو من أهم الأبواب في العقيدة، وكذلك هو أكثر بابٍ أدخلَ فيه الصـوفيةُ البدعَ والمُحدثاتِ والشـبهاتِ التي أثَّرُوا بها على كثيرٍ من المسلمين فأوقعوهم في الشركِ ودعاءِ غير الله، مما كان له أكبر الأثر في ضعف المسلمين اليوم في جميع أنحاء العالم.

ولذلك كان واجباً على أهل العلم والدعاة إلى الله أن يُبينوا المنهج الصحيح في ذلك؛ وينشروا التوحيد ويردوا على هذه الشبهات؛ حتى تصفوا العقيدة ويسلم المسلمون من شرهم، وتنهض الأمة وتقوى، ولا يكون ذلك إلا بالرد العلمي من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

فلهذا كانت هذه الرسالة في بيان التوسل، وقد ميزتها عن غيرها بأني جمعت فيها كل الشبهات القديمة والحديثة التي أثارها عُبَّادُ القبور في موضوع التوسل، ورددت عليها بالأدلة الصحيحة وأقوال أهل العلم من السلف الصالح ومن بعدهم، واختصرتها لتسهل قراءتها وتداولها والانتفاع بها.

والشكر بعد شكر الله سبحانه وتعالى لفضيلة شيخنا العلامة الاستاذ الدكتور/عبد الرحمن بن صالح محي الدين وفضيلة شيخنا /مسعود حقاني الأفغاني على مراجعتهما وتصحيحهما لهذا الكتاب نسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتنا وحسناتهما.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**الخرطوم ١٠ رمضان ١٤٤٠هـ**

**مزمل عوض فقيري**

## التوســـــــل

لُغةً: معناه: التقرب إلى المطلوب، والتوصل إليه برغبة.

قال ابن الأثير في "النهاية": الواسلُ: الراغبُ، والوسيلةُ: القربةُ والواسطةُ وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها "وسائل" ... إلى غير ذلك.

معنى الوسيلة في القرآن المجيد:

وردت كلمة (الوسيلة) في القرآن في آيتين:

- في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [المائدة: ٣٥].
- وقوله تعالى: "أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا" [الإسراء: ٥٧].

**أما الآيةُ الأولى:** فقد قال إمامُ المفسرين الحافظُ ابن جرير - رحمه الله - في تفسيرها: " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب، (اتَّقُوا اللَّهَ) يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة في ذلك، (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) يقول: واطلبوا القُربةَ إليه بالعمل بما يُرضيه".

ونقل الحافظُ ابن كثير عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن معنى الوسيلة فيها: القُربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد، وأبي وائلٍ، والحسن، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد ... وغير واحدٍ.

ونقل عن قتادة قوله فيها: "أي تقربوا إليه بطاعته والعمل` بما يرضيه"، ثم قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئِمة لا خلاف بين المفسرين فيه ... والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود".

**أما الآية الثانية:** فبيَّن الصَّحابيُّ الجليلُ عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: "نزلت في نفرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون".

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: " أي استمرَّ الإنسُ الذين كانوا يعبدون الجنَّ على عبادةِ الجنِّ، والجنُّ لا يرضون بذلك؛ لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المُعتمد في تفسير الآية".

ثم قال الشيخُ الألباني - رحمه الله تعالى -: "وهي صريحة في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ ولذلك قال "يبتغون" أي: يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة، وهي كذلك تشير إلى هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم، ظاهرة أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلى بعض عباد الله، يخافونهم ويرجونهم؛ مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم وأقروا لله بعبوديتهم وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه - سبحانه - بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها ، ويطمعون في رحمته ويخافون من عقابه ..." (١).

فقد ردت الآية على الذين يعبدون الأولياء أو يعبدون سادتهم بحجة أنهم صالحين، فبَيّن الله تعالى أن هؤلاء المعبودين هم أنفسهم محتاجون إليه سبحانه؛ ولذلك يتقربون إليه بالطاعات.

**<u>أنــواع التوسل المشــروع:</u>**

وهي ثلاثة أنواع كما جاء ذلك في الكتاب والسنة:

**<u>النوع الأول:</u> التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا:**

كما ورد أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول في تشهده: "اللهم إني أسألك بأن لكَ الحمد، لا إله إلا أنتَ وحدكَ لا شريك لكَ، المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حيُّ يا قيومُ، إني أسألك الجنة وأعوذ بكَ من النار، فقال النبي ﷺ لأصحابه: "تدرون بِمَ دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية: الأعظم) الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى" (رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح كما قال الألباني).

ودليل هذا النوع من التوسل أيضًا، قوله تعالى: "ولله الأسماءُ الحسنى فادعُوه بها" ولا شك أن أسماءه الحسنى تتضمن صفات له.

**<u>النوع الثاني:</u> التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي:**

كقوله تعالى: "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [آل عمران: ١٦].

وقوله: "رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" [آل عمران: ٥٣].

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١٣-١٤).

وقوله تعالي: "رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ"

[آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

وكذلك حديث أصحاب الغار كما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " انطلق ثلاثةُ رهطٍ ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غارٍ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم (وفي رواية لمسلم: فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعل الله يفرجها عنكم)، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب شيْءٍ (وفي رواية لمسلم: الشجر) يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج، قال النبي ﷺ:وقال الآخر: اللهم كانت لي بنتُ عمٍّ كانتْ أحبَّ الناسِ إليَّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومِئَة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، فَفَعَلت، حتى إذا قَدِرتُ عليها قالت: لا أحلُّ لكَ أن تفض (وفي رواية لمسلم: يا عبدالله، اتق الله ولا تفتح) الخاتم إلا بحقه، فتحرجَّتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ:وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجَرَاءَ، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ، ترك الذي له وذهب فثمَّرت أجره؛ حتى كثرت من الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك؛ من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله! لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون". (١)

فهؤلاء الثلاثة توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فاستجاب لهم وفرَّج عنهم.

(١) رواه البخاري برقم: (٢٢١٥)، ومسلم برقم: (٢٧٤٣).

- **<u>دفع شبهة:</u>** إذا قال قائل: إن هذه الأعمال جرت قبل بعثة نبينا محمد ﷺ فلا تنطبق علينا على ما هو الراجح في علم الأصول أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا.

**<u>فالجواب:</u>** أن حكاية النبي ﷺ لهذه الحادثة إنما جاء في سياق المدح والثناء والتعظيم والتبجيل، وهذا إقرار منه بذلك وهذا أيضًا هو خلاصةُ كلام الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

فهذا الحديث يدل على النوع الثاني وهو التوسل إلي الله تعالى بالأعمال الصالحة، وقد بُوِّبَ له في صحيح مسلم: (باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال).

- **<u>تنبيه:</u>** المقصود بالأعمال الصالحة هي أعمال الداعي نفسه لا أعمال غيره؛ لأن هؤلاء الثلاثة توسل كل واحد منهم بأعماله الصالحة، ولا يجوز أبدًا أن يتوسل الإنسان بأعمال غيره وهذا كقول بعضهم: اللهم إني أسألك بجاه فلان ... إلخ، وكل هذا من البدع.

**<u>النوع الثالث:</u> التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:**

كما ورد في السنة، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا"، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعَة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائِه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله، ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر" قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس ..." (١) وبما أن التوسلَ عبادةٌ من العبادات، فالأصل في العبادات التوقف إلا بدليل من الكتاب والسنة، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي دلَّ عليها الدليل، وليس هناك نوع رابع يدل عليه القرآن والسنة، فلا يُلتفت إلى تلك الأقوال الخالية من الأدلة الصحيحة.

(١) رواه البخاري برقم: (١٠٤)، ومسلم برقم: (٨٩٧).

فلا يجوز التعبد لله تعالى بالبدع، يقول التابعي الجليل حسَّان بن عطية المحاربي- رحمه الله -: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة"[١]

**شبهات حول الباب والرد عليها:**

**الشبهة الأولى: شبهة حول حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما:**

يحتجون على جواز التوسل بالأشخاص وحقهم وحرمتهم بحديث أنس -رضي الله عنه-: "أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون"[٢]

قال العلامة الألباني - رحمه الله تعالى -: "ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر رضي الله عنه -: "كنا نتوسل إليك بنبينا ... وإنا نتوسل إليك بعم نبينا" شيئًا محذوفًا لابد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: "كنا نتوسل إليك بـ (جاه) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (جاه) عم نبينا" وهذا على رأيهم، أو يكون: "كنا نتوسل إليك بـ (دعاء) نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ (دعاء) عم نبينا" وهذا على رأينا نحن، ولابد من الأخذ بواحدٍ من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوحٍ وجلاءٍ "[٣]

**ولا شك أن التوسل هنا كان بدعاء العباس لأمور عدة:**

**أولًا:** قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: (وقد بيَّنَ الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: "اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولم يُكشفْ إلا بتوبةٍ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث"، فأرخت السماء مثل الجبال؛ حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس)[٤] فهذه الرواية أقوى حجة على أن التوسل كان بدعاء العباس لا بجاهه، وهذا يدل أيضًا على صحة تقديرنا للمحذوف وهو (كنا نتوسل إليك بـ (دعاء) نبينا، ... وإنا نتوسل إليك بـ (دعاء) عم نبينا ...).

وكذلك حذفُ عمر له دليلٌ على معرفة الصحابة كلهم على أن التوسل يكون بدعاء الرجل الصالح، وإلا لَمَا حذفه عمر - رضي الله عنه -، فحذفُهُ له دليلٌ على أن الأمر مستقر عندهم، والدليل على هذا علمهم أيضًا

(١) رواه الدارمي (٤٥/١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم: (١٨٨)
(٢) رواه البخاري برقم: (١٠١٠) ورواه غيره.
(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٥٢).
(٤)فتح الباري تحت الحديث رقم: (١٠١٠).

كانوا يتوسلون بدعاء رسول الله ﷺ كما قال عمر هنا، وكما توسل ذلك الرجل بدعاء رسول الله ﷺ فنزل المطر وكان ذلك يوم جمعة، وغيره كثير.

**ثانيًا:** لو كان توسل عمر - رضى الله عنه - بالجاه؛ فلماذا ترك عمر التوسل بجاه رسول الله ﷺ وذهب إلى التوسل بجاه العباس رضى الله عنه؟! مع عِلمِ عُمرَ التام أن جاه رسول الله ﷺ أعظم من جاه العباس - رضي الله عنه - ولا مقارنة.

ومع ذلك ترك التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم وتوسل بدعاء العباس - رضي الله عنه-، وذلك لأن عمر - رضي الله عنه - يعلم أن التوسل بالجاه لا يجوز، ولا يستطيع أي أحد من هؤلاء الصوفية أن يأتي بدليل صحيح واحد يدل على جواز التوسل بالجاه، وإنما الصحيح هو ثلاثة أنواع من التوسل: التوسل بأسماء الله وصفاته، والتوسل بدعاء الرجل الصالح، والتوسل بأعمالك الصالحة.

- **اعتراض وجوابه:**

**يقولون:** إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ترك التوسل بالرسول ﷺ، وتوسل بعمه العباس - رضي الله عنه -؛ وكان ذلك لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

**والجواب على ذلك:**

ما قاله الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى -إذ يقول: " كيف يمكن أن يخطر في بال عمر رضي الله عنه، أو في بال غيره من الصحابة الكرام تلك الحذلقة الفقهية المتأخرة وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك والكرب والشقاء والبؤس يكادون يموتون جوعًا ... حتى سُمِّي ذاك العام بعام الرمَادة كيف يرد في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب، فيدَع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه وهي التوسل بالنبي الأعظم ﷺ - لو كان ذلك جائزًا -ويأخذ بالوسيلة الصغرى التي لا تُقارن بالأولى، وهي التوسل بالعباس، لماذا؟ لا لشيء إلا ليبيِّن للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل؟!.

**أقول:** إن المشاهد والمعلوم أن الإنسان إذا أحلت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها، ويدع الوسائل الأخرى لأوقات الرخاء، وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم، إذ كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر، ويتركونها ويدعون الله تعالى وحده في أوقات العسر، كما قال تبارك وتعالى: "فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ" [العنكبوت: ٦٥].

وأمرٌ آخر نقوله جوابًا على شبهة أولئك وهو: هب أن عمر - رضي الله عنه - خطر في باله أن يبين ذلك الحكم الفقهي المزعوم، ترى فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل يزيد بن الأسود الجرشي أيضًا؟ لا شك أن هذا ضَرْبٌ من التَمَحل والتكلف لا يحسدون عليه. [١]

**ثالثًا:** هناك سؤال نطرحه لهؤلاء الصوفية: لو كان توسل عمر بذات العباس لا بدعائه، إذًا فلماذا قام العباس - رضي الله عنه - يدعو بعد دعاء عمر - رضي الله عنه -؟!.

**رابعًا:** مما يؤيد أن التوسل كان بدعاء العباس لا بذاته وشخصه، هو أن عمر - رضي الله عنه - صرَّح أنهم كانوا يتوسلون بنبينا صلى الله عليه وسلم في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بالعباس، ومما لا شك فيه أن التوسلَينِ من نوع واحد؛ توسلهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوسلهم بالعباس، وأما توسلهم بالرسول صلى الله عليه وسلم كان بدعائه؛ وذلك بدليل ما رواه الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ: " كانوا إذا قحطوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم استسقوا به، فيستسقي لهم، فيسقون، فلما كنا في إمارة عمر..." نقلته من الفتح (٣٩٩/٢).

فقوله: (فيستسقي لهم) صريح في أنه صلى الله عليه وسلم كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى، لأن معني الاستسقاء كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: "والاستسقاء لغة: طلبُ سقي الماء من الغير للنفس أو الغير، وشرعًا: طلبه من الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص"[٢]

إذا تبين هذا، فقوله في هذه الرواية: (استسقوا به) أي بدعائه، وكذلك قوله في الرواية الأولي: (كنا نتوسل بنبينا) أي: بدعائه، وكذلك قوله: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) أي: بدعاء عم نبينا، ولا يمكن أن يُفهم منه الا هذا، وذلك لجميع ما سبق[٣] .

ثم إن هذا القول – أنه أراد بيان الجواز – تقوُّلٌ على عمر وهو لم يقله، فهو افتراءٌ وكذبٌ وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٥٩-٦٠).
(٢) فتح الباري تحت الحديث رقم: (١٠٠٥).
(٣) ملخص من كلام الألباني رحمه الله تعالى من كتاب التوسل.

**فوائد قوية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -: "وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر، فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل بذاته هو؛ لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس؛ عُلم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا" (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -: "ودعاءُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهود بين المهاجرين والأنصار وقوله: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعًا؛ لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: "ثم لما استسقى بالناس -أي عمر -قال: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) فيسقون، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس، فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟! فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد عُلم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، عُلم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته".(٣)

وقال شيخ الإسلام أيضًا: "التوسل بالنبي ﷺ الذي ذكره عمر بن الخطاب قد جاء مُفسرًا في سائر أحاديث الاستسقاء، وهو من جنس الاستشفاع به، وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته، ونحن نقدمه بين أيدينا شافعًا وسائلًا لنا بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم". (٤)

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٨٥).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧ - ١٠٨).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤).
(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٩٢ - ١٩٣).

وقال شيخ الإسلام أيضًا: "فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضًا لنفسه ويقول في دعائه: (اللهم فشَفِّعه فِيَّ) فدلَّ ذلك على أن معنى قوله:(أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد) ؛ أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقنا ...) فالحديثان معناهما واحد، فهو صلى الله عليه وسلم علَّم رجلًا أن يتوسل به في حياته، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلًا عنه، فلو كان التوسل به حيًا وميتًا سواءً، والمتوسل به الذي دعا له الرسول ﷺ كمن لم يدع له الرسول ﷺ ، لم يعدلوا عن التوسل به -وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم إليه وسيلة إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله" [١]

**الشبهة الثانية: حول حديث الضرير:**

يُلبِّسُ الصوفيةُ في حديث الضرير الذي أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: "أن رجلًا ضريرَ البصرِ أتي النبي ﷺ فقال: أدعُ الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير، وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير لك) فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فشفعه فِيَّ وشفعني فيه)، قال: ففعل الرجل، فبرأ"[٢]

**يزعم الصوفية:** أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه رسول الله ﷺ أو غيره من الصالحين، ويزعمون أيضًا: أن هذا الحديث يدل على جواز دعاء غير الله تعالى والاستعانة بغيره سبحانه وتعالى.

وأما قول العلماء في هذا الحديث؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وحديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه، فإن الأعمى قد طلب من النبيﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له: "إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك، فقال بل ادعه، فأمره أن يتوضأ ..." الحديث، قال شيخ الإسلام: "فهذا توسلٌ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال: (وشفعه فِيَّ) فسأل اللهَ أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه".

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٣).
(٢) رواه أحمد في المسند (١٣٨/٤)، ورواه الترمذي (٢٧١/٤-٢٨٢)، وابن ماجة (٤١٧/١) وغيرهم.

وهذ الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ... قال البيهقي: "رويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح"(١).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله - بعدما ذكر حديث الضرير: "فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء"(٢)

وقال أيضًا: "وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ؛ فلهذا قال في دعائه: "اللهم فشفعه فِيَّ" فعلم أنه شفيع فيه، ولفظه "إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك" فقال: "ادع لي"، فهو طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضًا لنفسه ويقول في دعائه: "اللهم فشفعه فِيَّ" فدلَّ ذلك على أن معنى قوله: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد" أي: بدعائه وشفاعته كما قال عمر: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقنا ..." فالحديثان معناهما واحد(٣).

وقال المباركفوري: - في شرحه لحديث الضرير -: "الحق عندي أن التوسلَ بالنبي ﷺ في حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح في حياتهم بمعني التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضًا جائزٌ، وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: "وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ أن يقول: "اللهم شفعه فيَّ" ولهذا ردَّ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يُعد من آيات النبي ﷺ، ولو توسل غيره من العُميَان الذين لم يدعُ لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله"(٥).

وقد لَخَّصَ الشيخ الألباني شرح هذا الحديث، وأنه يتكلم عن التوسل إلى الله تعالى بالدعاء، لخصه في نقاطٍ مفيدةٍ جدًا.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٨ - ١٤٩).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٢).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٠٣).
(٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي تحت الحديث رقم: (٣٥٧٨).
(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

حيث يقول -رحمه الله تعالى -: "يرى المخالفون أن هذا الحديث يدل على جواز التوسـل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، إذ فيه أن النبي ﷺ علَّمَ الأعمى أن يتوسَّل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرًا.

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه، لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه، والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة:

**أولًا:** أن الأعمى إنما جاء الي النبيِّ ﷺ ليدعوَ له، وذلك بقوله: " ادعُ الله أن يعافيني" فهو توسـل إلى الله تعالى بدعائه صـلى الله عليه وسـلم لأنه يعلم أن دعاءه صـلى الله عليه وسـلم أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلًا: "اللهم إني أسـألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشـفيني، وتجعلني بصـيرًا"، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسـل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صـاحب الحاجة يذكر فيها اسـم المتوسـل به، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ويطلب الدعاء منه له.

**ثانيًا**: أن النبي ﷺ وعده الدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن شئت دعوتُ لك، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -أي عينيه- فصَبَر عوضتُه منهما الجنة".

**ثالثًا**: اصرار الأعمى على الدعاء بقوله: "فادع" فهذا يقتضي أن رسول الله ﷺ دعا له؛ لأنه خيرُ مَنْ وَفَّى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له - إن شاء - كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لابد أنه صلى الله عليه وسلم دعا له، فثبت المراد.

وقد وجه النبي الله ﷺ الأعمى بدافع من رحمته وبحرص منه على أن يستجيب الله دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح؛ ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ

ويصلي ركعتين، ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله - سبحانه وتعالى - يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالى: "وابتغوا إليه الوسيلة" كما سبق.

وهكذا فلم يكتفِ الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله - سبحانه وتعالى - وقربة إليه؛ ليكون الأمرُ مكتملًا من جميع نواحيه، وأقربَ إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء -كما هو ظاهر -وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون.

**رابعًا:** إن في الدعاء الذي علَّمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: "اللهم فشفعه فِيَّ" وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته فيَّ، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة: الدعاء...".

**خامسًا:** إن مما علَّم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: "وشفعني فيه" أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم، أي دعاءه في أن ترد علي بصري، وهذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه، ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها، ولا يتعرضون لها من قريب أو بعيد؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتجتثه من الجذور وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشيِّ عليه، ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة ....".

**سادسًا:** إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه صلى الله عليه وسلم لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره؛ ولذلك رواه المصنفون في "دلائل النبوة" كالبيهقي وغيره، فهذا يدل على أن السرَّ في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ ..."(١)

**قلتُ:** إذا فرضنا جدلًا أن العلماء اختلفوا في جواز التوسل بالذات أو الجاه، فإنهم لم يختلفوا في جواز التوسل بالدعاء؛ وذلك لما عليه من الأدلة الكثيرة، فلِمَ يأخذ الصوفية بالشبهة ويتركون المتفق عليه؟! وقد قال النبي ﷺ: "دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ" وقال: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ... وقد قال الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...)

[آل عمران: ٧].

(١) مختصر من كتاب التوسل – للشيخ الألباني رحمه الله (٦٧ – ٧٣).

وأيضًا: إنك تلاحظ أن كثيرًا من الصوفية يعبدون شيوخهم ويدعونهم من دون الله تعالى، كقولهم: (مدد يا الدسوقي مدد) وكقول البرعي السوداني- في مدح مشايخه -:

فإن ضقتَ ذرعًا في زمانك ناده *** تجده غيَّاث الخلائق بادٍ وحاضرِ

فهم يدعون غير الله تعالى وهذا شرك أكبر، ولكنهم يكذبون ويسمونه توسلًا؛ ليلبسوا على الناس دينهم، وهذه أكبر شبهة عندهم، يضللون بها الخلق، ويلبسون بها الحق بالباطل.

- **تنبيه:**

وقع في بعض الطرق الأخرى لحديث الضرير زيادتان لابد من بيان شذوذهما وضعفهما:

**الزيادة الأولى:**

زيادة حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي ... فساق إسناده من رواية شعبة ... وزاد في آخره: "وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك" رواه أبوبكر بن أبي خيثمة في تاريخه، فقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة به.

قال الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى-: "وقد أعلَّ هذه الزيادة شيخ الإسلام ابن تيمية في "القاعدة الجليلة" بتفرد حماد بن سلمة بها، ومخالفته لرواية شعبة وهو أجل من روى هذا الحديث، وهذا إعلال يتفق مع القواعد الحديثية ولا يخالفها البتة.

وقول الغماري في (المصباح/ص٣٠): بأن حمادًا ثقةٌ من رجال الصحيح وزيادة الثقة مقبولة، غفلة منه أو تغافل عما تقرر في المصطلح أن القبول مشروط بما إذا لم يخالف الراوي من هو أوثق منه.

قال الحافظ في (نخبة الفكر): "والزيادة مقبولة مالم تقع منافية لمن هو أوثق، فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ ومقابله الشاذ ...".

وخلاصة القول: إن الزيادة لا تصح لشذوذها، ولو صحت لم تكن دليلًا على جواز التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم، لاحتمال أن يكون معنى قوله: "فافعل مثل ذلك" يعني من إتيانه صلى الله عليه وسلم في حال حياته وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ أن يدعو به، والله أعلم"[1]

(١)كتاب التوسل أنواعه وأحكامه – للشيخ الألباني رحمه الله (٨٠ – ٨٢).

**<u>الزيادة الثانية:</u>**

أخرجها الطبراني [١] من طريق عبدالله بن وهب، عن شبيب بن سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامه بن سهل بن حُنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل، فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك ..." إلخ، هذه الزيادة.

قال الطبراني"لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة وهو الذي يحدث عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي - واسمه عمير بن يزيد -وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح".

قال الشيخ الألباني- رحمه الله -: "لا شك في صحة الحديث، وإنما البحث الآن في هذه القصة التي تفرد بها شبيب بن سعيد كما قال الطبراني ...".

**وخلاصة القول في هذه القصة، أنها ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة:**

**أولًا:** ضعف حفظ المتفرد بها، قال ابن عدي: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا كان من حفظه، وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حَدَّث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه يونس آخر، يعني يجوِّد" [٢]

فهذا الكلام يفيد أن شبيبًا هذا لا بأس بحديثه بشرطين اثنين:

١. أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه.
٢. أن يكون من رواية شبيب عن يونس، والسبب في ذلك أنه كان عنده كتب يونس بن يزيد، كما قال ابن أبي حاتم [٣] عن أبيه فهو إذا حدَّث من كتبه هذه أجاد، وإذا حدَّث من حفظه وَهِمَ، كما قال ابن عدي،

(١) المعجم الصغير (١٠٣-١٠٤)، والمعجم الكبير (١/٢/٣-٢).
(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٤٣/٢).
(٣) الجرح والتعديل (٣٥٩/١/٢).

وأيضًا قال عنه الحافظ ابن حجر:(شبيب بن سعيد التميمي الحَبطي ... لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب).[١]

**ثانيًا:** الاختلاف على أحمد فيها، فقد أخرج الحديث ابن السني في عمل اليوم والليلة[٢] ، والحاكم [٣] من ثلاث طُرق عن أحمد بن شبيب بدون القصة.

**ثالثًا:** مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث؛ لأن الحديث رواه أيضًا عون بن عمارة البصري، ثنا روح بن القاسم به، أخرجه الحاكم، وعون هذا وإن كان ضعيفًا، فروايته أولى من رواية شبيب، لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي".[٤]

- **ملاحظة:**

وهي أن الطبراني إنما صحح الحديث فقط دون القصة بدليل قوله: "فقد روى الحديث شعبة ... والحديث صحيح" فهذا نصٌ على أنه أراد حديث شعبة، وشعبة لم يَروِ هذه القصة، فلم يصححها إذن الطبراني، فلا حجة لهم في كلامه.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: "فهذه الزيادة فيها عدة علل: انفرد هذا بها عمن هو أكبر وأحفظ منه، وإعراض أهل السنة عنها، واضطراب لفظها، وأن راويها عرف له -عن روح هذا -أحاديث منكرة، ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجة فيها ..." [٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى –: "وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعيًا له ولا شافعًا فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته كما كان يُشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به، بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر لا يأكل سمنًا حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس ، قال: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" فيسقون، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره عليه

(١) التقريب (٢٠٥).
(٢) عمل اليوم والليلة - ابن السُني (٣٠٢).
(٣) المستدرك للحاكم (٥٢٦/١).
(٤) ملخص من كلام الشيخ الألباني - كتاب التوسل (٨٢ – ٨٥).
(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٥٩).

أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس.

فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟! فلما لم يقل ذلك أحد منهم وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته.

وحديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: "قل: اللهم شفعه فِيَّ" وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع، بل ببعضه وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجًا بسنة رسول الله ﷺ، وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه، لا له، والله أعلم".(١)

وكذلك فإن في هذه القصة ملاحظة مهمة ذكرتها هذه القصة، وهي أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل ولا يلتفت إليه، وبالطبع هذا لا يتفق مع ما صَحَّ عن النبي ﷺ أن الملائكة تستحي من عثمان، ومع ما عُرف به - رضي الله عنه - من رفقه بالرعية، وبره بهم ولينه معهم، وخوفه من الله، وهذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه رضي الله عنه.

**بعضُ الأحاديث الضعيفة فى التوسل:**

يَحتجُّ الصوفية ببعض الأحاديث الضعيفة و المكذوبة لتجويز التوسل البِدعي؛ وبالتالي هم يُريدون أن يُجوزوا دعاء غير الله ويُجوزوا الشرك بذلك، ومن أمثلتها:

**الحديث الأول:** عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا "من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ... أقبل الله عليه بوجهه" (٢)

إسناده ضعيف، لأنه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤).
(٢) رواه أحمد واللفظ له وابن ماجة.

قال النووي في الأذكار: "وروينا في كتاب ابن السني معناه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ، وعطية أيضاً ضعيف".(١)

وقال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله -: "وهذا الحديث في اسناده عطية العوفي، وفيه ضعف"(٢) .

وقال ابن حجر في (التقريب): "صدوق يخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مُدلِّسًا"(٣) .

وقال الذهبي في (الميزان): "تابعي شهير ضعيف.. وقال أحمد: ضعيف الحديث، وقال أحمد أيضًا: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يُكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، قلت: يعني: يوهم أنه الخدري ...، وقال النسائي وجماعة: ضعيف".(٤)

ورواه النووي في الأذكار بإسناد آخر ليس فيه عطية العوفي، ولكن فيه الوازع بن نافع العقيلي، قال النووي في الأذكار: (حديث ضعيف، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث).

وقال الذهبي في (الميزان): "قال ابن عدي: عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ"(٥)

**<u>الحديث الثاني:</u>** عن أبي أمامة قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء: "اللهم أنت أحقُّ من ذكر وأحقُّ من عُبد ... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وبكل حق هو لكَ وبحق السائلين عليك...".

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٤/٢٠): "رواه الطبراني، وفيه فَضَّال بن جبير، وهو ضعيف مجمع على ضعفه".

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٤٦/٣-٣٤٧): "قال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة".

وقال الذهبي أيضًا في ميزان الاعتدال (٣٤٧/٣): "وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال؛ يروي أحاديث لا أصل لها"، وقال الذهبي أيضًا في نفس الصفحة: "وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال: ضعيف الحديث".

قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: "قلت: فالحديث شديد الضعف فلا يجوز الاستشهاد به".(٦)

(١) الأذكار - للنووي (٣٦).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢١٦).
(٣) تقريب التهذيب – لابن حجر (٣٣٣).
(٤) ميزان الاعتدال – للذهبي (٨٨/٣).
(٥) ميزان الاعتدال – للذهبي (٧٨/٥).
(٦) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٩٩).

**الحديث الثالث:** عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هشام أم علي ... دعا أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلامًا أسود يحفرون .... فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: "الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ... ووسِّع مُدخلها بحق نبيك والأنبياء اللذين من قبلي ...".

رواه الطبراني[1]، ومن طريقه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١٢١/٣): حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، قال: روح بن صلاح، قال: حدثنا سفيان الثوري عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك قال ... فذكره.

قال الطبراني: "تفرد به روح بن الصلاح".

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" حديث رقم (١٥٣٨٨): "وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

قال الألباني -رحمه الله –: "وفي قوله: (وبقية رجاله رجال الصحيح) نظرٌ رجيح؛ ذلك لأن زغبة هذا ليس من رجال الصحيح، بل لم يَروِ له إلا النسائي، أقول هذا مع العلم أنه في نفسه ثقةٌ".

بقي النظر في حال روح بن صلاح، وقد تفرَّد به كما قال الطبراني، فقد وثقه ابن حبان، والحاكم كما ذكر الهيثمي، ولكن قد ضعفه من قولهم أرجح من أمرهما لأمرين:

١. أنه جرح مقدم على التعديل بشرطه.
٢. أن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيرًا ما يوثق المجهولين... فقد ضعفه ابن عدي (١٠٠٥/٣) وقال ابن يونس: "رويت عنه مناكير"، وقال الدارقطني: ضعيف في الحديث، وقال ابن ماكولا: ضعفوه، وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: وفي بعض حديثه نكارة.

**الحديث الرابع:** (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لما خلقتني بيدك ونفخت فِيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم

(١) رواه الطبراني في "الكبير" (٣٥١/٢٤-٣٥٢)، و "الأوسط" (١٥٢/١-١٥٣).

العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الأسماء إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك).

وهذا حديث موضوع، أخرجه الحاكم في المستدرك، وكذا البيهقي في (باب: ما جاء فيما تحدث به ﷺ بنعمة ربه)[١] ، من طريق أبي الحارث عبدالله بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة، نبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب"، فتعقبه الذهبي بقوله: "بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو".

والفهري هذا أورده الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤٤٩/٢)، وأورد هذا الحديث وقال عقبه: "خبر باطل رواه البيهقي في دلائل النبوة".

قال البيهقي: "تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف".

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله –: "ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب (المدخل إلي معرفة الصحيح من السقيم): "عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصِنعة إلى الحمل فيها عليه"، قلت: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يخلط كثيرًا".[٢]

<u>**الحديث الخامس:**</u> قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٥٧٥/٢): "وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار -وكان خازن عمر -فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر ...." الحديث، وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة.

قال الألباني -رحمه الله -معلقًا على هذا الأثر: "قلت: والجواب من وجوه:

(١) دلائل النبوة (٤٨٨/٥).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٦٩).

**الأول:** عدم التسليم بصحة هذه القصة؛ لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سندٍ صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم [١] ولم يذكر راويًا عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه -مع سعة حفظه واطلاعه -لم يحكِ فيه توثيقًا فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا قول الحافظ: "... بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان..."،

لأننا نقول: إنه ليس نصًا في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح، ولقال رأسًا: "عن مالك الدار ... وإسناده صحيح" ولكنه تعمَّد ذلك؛ ليلفت النظر إلى أن هاهنا شيئًا ينبغي النظر فيه، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة، فلا يستجيزون لأنفسهم حذفَ السند كله، لما فيه من إيهام صحته، لاسيما عند الاستدلال به، بل يوردون مَن ما فيه موضع للنظر فيه، وهذا هو الذي صنعه الحافظ - رحمه الله تعالى - هنا، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا أو يشير إلى جهالته والله أعلم، وهذا عِلمٌ دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة ، ويؤيد ما ذهبت إليه أن الحافظ المنذري أورد في "الترغيب" [٢] قصةً أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال: "رواه الطبراني في الكبير، ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون ومالك الدار لا أعرفه" ، وكذا قال الهيثمي [٣] .

**الثاني:** أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قوله تعالى في سورة نوح: "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا * يرسل السماء عليكم مدرارًا..."، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حيث استسقى وتوسل بدعاء العباس - كما سبق بيانه -، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط؛ أن يُصلوا ويدعوا ولم يُنقل عن أحد منهم مطلقًا أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه الدعاء للسُّقيا ولو كان ذلك مشروعًا لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذا لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.

**الثالث:** هب أن القصة صحيحة فلا حجة فيها؛ لأن مدارها على رجل لم يُسمَّ فهو مجهول أيضًا، وتسميته بلالًا في رواية سيف لا يساوي شيئًا، لأن سيفًا هذا هو -ابن عمر التميمي -متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: "يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث"، فمن كان هذا شأنه لا تُقبل

---

(١) الجرح والتعديل (٤/١-٢١٣).
(٢) الترغيب والترهيب (٢/٤١-٤٢).
(٣) مجمع الزوائد (٣/١٢٥).

روايته ولا كرامة، لاسيما عند المخالفة[١] وذكر الذهبي عن سيف بن عمر التميمي هذا، في ميزان الاعتدال [٢] قوله: "وروى مطَّين عن يحيى: فلسٌ خيرٌ منه، وقال عنه أبوداود: ليس بشيءٍ ....".

**الحديث السادس:** "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم"

وهذا الحديث لا أصل له، وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين".[٣]

**الحديث السابع:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.... وهذا كله نقله القاضي عياض من كتب أصحاب مالك المعروفة، ثم ذكر الحكاية بإسناد غريب منقطع رواها من غير واحد إجازة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرح، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد، قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ؛ فإن الله أدب قومًا فقال تعالى: " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي"، ومدح قومًا فقال: "إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله" ، وذم قومًا فقال: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات" ، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، استقبلُ القبلةَ وأدعو؟ أم أستقبلُ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم - عليه السلام - إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به؛ فيشفعك الله، قال الله تعالى: "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا").

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى -: (قلت: وهذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكًا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومِئةً وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومِئةً ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومئتين، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذّبه أبو زرعة وابن وارة، وقال

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١١٨-١٢٠).
(٢) ميزان الاعتدال (٢/٢٣٦-٢٣٧).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٩٧-١٩٨).

صالح بن محمد الأسدي، ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه، وأحذق بالكذب منه، وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات ....) [١] .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال [٢] "وكذَّبه أبو زرعة ... وعن الكوسيح قال: أشهد أنه كذاب، فالقصة غير صحيحة.

**الحديث الثامن:** وكذلك الحديث الذي يُروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده: أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن وتفلَّت مني، فقال له رسول الله ﷺ:(قل: اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم خليلك، وبموسي نجيك، وعيسى روحك وكلمتك، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد، وبكل وحي أوحيته، وقضاء قضيته).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذا الحديث في " قاعدة جليلة" [٣] : (هذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه ونقله ابن الأثير في " جامع الأصول" ، ولم يعْزُه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين، لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني وأبي نعيم ، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء،... ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبد الملك بن هارون بن عنترة ... قلت : عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب، قاله يحيى بن معين. وقال السعدي: دجَّالٌ كذَّابٌ، وقال أبو حاتم بن حباب: يضع الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد بن حنبل: ضعيف.

وقال ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد، وقال الدارقطني: هو وأبوه ضعيفان، وقال الحاكم في كتاب [المدخل]: عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب [الموضوعات]).

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١١١-١١٢).
(٢) ميزان الاعتدال (٤/١٠٢).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

وقال الذهبي عنه في (ميزان الاعتدال):[١] (قال أحمد: عبد الملك ضعيف، وقال يحيى: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث ...).

**<u>الحديث التاسع:</u>** حديث ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا، أنه قال: (من سرَّه أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم؛ فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف، أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر، وليشربه على الريق، وليصم ثلاثة أيام، وليكن إفطاره

عليه، ويدعو به في أدبار صلواته: اللهم إني أسألك بأنك مسؤول ولم يُسأل مثلك ولا يُسأل مثلك، وأسألك بحق محمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-عقب ايراده هذا الحديث-"وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين، قال أبو أحمد ابن عدي فيه: منكر الحديث، وقال أبو حاتم ابن حبان: دجال يضع الحديث، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابًا في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل".[٢]

ونقل عنه ابن عدي أحاديث من روايته، ثم قال بعدها "هذه الأحاديث بواطيل".[٣]

إذاً هذه الأحاديث كلها غير صحيحة لا يُستدل بها على هذا التوسل البدعي.

<u>وهناك آثار رويت عن السلف وهي ضعيفة أيضًا لا يُعتد بها، ومنها:</u>

حديث الأربعة الذين اجتمعوا عند الكعبة وسألوا، وهم: عبد الله ومصعب ابنا الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبد الملك بن مروان، وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب (مجابي الدعاء)، ورواه من طريق إسماعيل بن أبان الغنوي، عن سفيان الثوري، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبي أنه قال: (لقد رأيت عجبًا! كنا بفناء الكعبة أنا وعبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم، فليأخذ بالركن اليماني، وليسأل الله حاجته فإنه يُعطى من سعة، ثم قالوا: قم يا عبد الله بن الزبير، فإنك أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم إنك عظيم تُرجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك، وحرمة عرشك، وحرمة نبيك: ألا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز، ويسلَّم عليَّ بالخلافة"، ثم جاء فجلس، ثم قام مصعب فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم إنك رب كل شيْء ،

(١) ميزان الاعتدال (٢/٥٨٠).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٢).
(٣) ميزان الاعتدال (٤/٤٠٤-٤٠٥).

وإليك يصير كل شيْء ، أسألك بقدرتك على كل شيْء ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق، وتزوجني سكينة بنت الحسين"، ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن اليماني ثم قال: "اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحقك على خلقك وبحق الطائفين حول عرشك ...الخ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قلت: وإسماعيل بن أبان الذي روى هذا عن سفيان الثوري كذاب، قال أحمد بن حنبل: كتبت عنه، ثم حدث بأحاديث موضوعه فتركناه ... وقال أبو حاتم: كذاب ...).[١]

وقال الذهبي: "إسماعيل بن أبان الغنوي الكوفي الحناط: كذبه يحيى بن معين، وقال أحمد بن حنبل: كتبنا عنه، عن هشام بن عروة ثم روى أحاديث موضوعة عن فِطْر وغيره، فتركناه ... قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات...) [٢]

**وهنالك حكايات عن بعض الناس في التوسل البدعي وهي غير صحيحة أيضا مثل:**

قال شيخ الإسلام -رحمة الله تعالى-: "ورُوي في ذلك أثر عن بعض السلف، مثل ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (مجابي الدعاء) قال: حدثنا أبو هاشم، سمعت كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة يقول: جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر فجس بطنه، فقال: بك داء لا يبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدبيلة، قال: فتحول الرجل فقال:" الله، الله، الله ربي لا أشرك به شيئًا، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليمًا، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي، قال: فجس بطنه فقال: قد برئت ما بك علة".

وهذا الأثر نقله ابن تيمية في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)[٣] ، وقد نقله بصيغة التمريض التي تدل على أنَّ ابن تيمية يضعف هذا الأثر، فقد قال: (ورُوِيَ في ذلك أثر عن بعض السلف مثل ما رواه...) ثم ساق القصة، مما يُوضح تضعيف ابن تيمية لها.

وقبل ذلك، ذكر ابن تيمية - رحمه الله - كلامًا يدل على تضعيفه لهذه الحكايات كلها بما فيها هذه الحكاية، حيث قال في بداية حكايته: "وفي الباب حكايات عن بعض الناس أنه رأى منامًا قيل له فيه: ادع بكذا وبكذا، ومثل هذا لا يجوز أن يكون دليلًا باتفاق العلماء، وقد ذكر بعض هذه من جمع في الأدعية، ورُوي في ذلك أثر

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٤-١٤٥).
(٢) ميزان الاعتدال (٢١٤/١).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٧).

عن بعض السلف مثل ما رواه ابن أبي الدنيا..." ثم ساق الحكاية. مما يدل دلالة واضحة على أن ابن تيمية أورده من أمثلة الآثار والحكايات التي لا تصح.

ومما يدل على ذلك أيضًا، قوله عند إيراد الحكاية: "وقد ذكر بعض هذه الحكايات من جمع في الأدعية ..." ثم ذكر الحكاية، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أصَّل قبل صفحات من هذا الكلام، أن هذه الكتب التي جمعت الأدعية والأذكار قد كثر فيها الأحاديث الموضوعة؛ لذلك لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة، ونقل

الاتفاق على ذلك، فقال شيخ الإسلام: "... لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني، وأبي نعيم، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء"[١].

ولو فرضنا صحة القصة، فإن هذا الفعل من رجل لا يصلح أن يكون دليلًا؛ لأنه ليس كتابًا ولا سنةً، بل هو تصرف من رجل لم نؤمر باتباعه أبدًا؛ لاسيما وهو يخالف الكتاب والسنة، وقد قال رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".[٢]

أما كون الدعاء أُستجيب، فهذا أيضًا لا يدل على أنه سائغ في الشريعة، فقد قال شيخ الإسلام: (وليس مجرد كون الدعاء حصل به المقصود يدل على أنه سائغ في الشريعة؛ فإن كثيرًا من الناس يدعون من دون الله من الكواكب والمخلوقين ويحصل ما يحصل من غرضه ...).[٣] وصدق شيخ الإسلام-رحمه الله تعالى-، فالدين ليس تجارباً وإنما هو اتباع فليس كل من جرب شيئاً جعله سنة وشريعة تتبع فتضيع شريعة الله جل وعلا، ولكن العجيب أن هؤلاء الصوفية يأتون بهذه الآثار والحكايات التي فيها التوسل البدعي ليستدلوا بها على جواز الشرك بالله تعالى من دعاء غير الله والاستغاثة بغيره تعالى، فشتان بين مشرق ومغرب.

**والخلاصة: أن التوسل المشروع ثلاثة أنواع:**

توسل بأسماء الله وصفاته.

وتوسل بالعمل الصالح الذي قام به الداعي نفسه.

وتوسل بدعاء الرجل الصالح.

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٣٦).
(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤٧).

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي يدلُّ عليها الكتابُ والسنةُ وعمل الصحابة ـ رضي الله عنهم -. وقد أدخل الصوفية وغيرهم الشركَ ودعوا غير الله تعالى، واستغاثوا بغيره تعالى، بدعوى أن هذا هو التوسل، وكذبوا، فخلطوا بين التوسل وبين دعاء غير الله تعالى، فضلوا وأضلوا، مستدلين على ذلك بأحاديث ضعيفة ومكذوبة على رسول الله ﷺ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ومن كذب عليَّ مُتعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار)[1] ، وتركوا الآيات المحكمة البينة في النهي عن دعاء غير الله تعالى والقرآن مَلِيْءٌ بهذا، وكذا السنة الصحيحة.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا الله،

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه البخاري (١٢٩١).